دورالشيخ المظفرفي تطويرمناهج الحوزة العلمية

كتاب اصول الفقه«نموذجاً»

سماحة الشيخ أحمد كاظم البغدادي- ايران

0

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يعتبر الشيخ المظفَّر(رحمه الله)، مؤسِّس كلية الفقه في النجف الأشرف، الرائد الأول في تجديد علم الأصول وتهذيبه، وتتجلى هذه التجربة الرائعة في كتابه الرائع «أصول الفقه»، الذي يعد نقلة نوعية بين الكتب الأصولية، لاسيما الدرسية منها، وقد تمكن الشيخ المظفر في هذا الكتاب من اذابة لغة الأصول المعقدة والجافة في قوالب لفظية سهلة سيالة، خفيفة على العقول، عميقة في المعقول، والأهم من ذلك الأسلوب التربوي الذي يُرشّد الطالب ويبنيه علمياً.

ويكفي في عظمة هذا الكتاب كلمة السيد الخوئي(رحمه الله)، قال بشأنه: (إنّ الكتب الأُصوليّة التي نسخ كثير من مسائلها، وأقوالها، هي التي يدرسها الطالب المبتدئ والمتوسِّط اليوم، ولذلك فإنّ الطالب حينما يصل إلى الدرس العالي، يجد أنّه لا علاقة بين ما تعلّمه، وبين ما يتعلّمه. وكنتُ منذ زمن بعيد أرغب أن يؤلّف كتاب في هذا العلم تلائم أبحاثه الأبحاث العالية، ويعمّم تدريسه على طلاب العلوم الدينيّة، حتّى قدّم العلاّمة الحجّة الشيخ محمّد رضا المظفّر - دامت تأييداته- ما رتّبه من مباحث أُصوليّة في القسم الأوّل من كتابه (مبادئ علم الأُصول) ترتيباً جميلاً، فألفيته - بحمد

الله - وافياً بالمقصود، وجامعاً لموجز من القواعد والأُصول، التي تدور عليها الأبحاث في عصرنا الحاضر، وجدير بطالب العلم أن يدرس هذا الكتاب، ليتهيّأ بذلك للانفتاح على الدراسات العالية، ونسأل الله أن يوفِّق المؤلِّف - دام فضله - لإنجاز القسم الثاني من كتابه. والله وليّ التوفيق - حرّره في الليلة الحادية عشرة من شهر ربيع الأوّل سنة ١٣٧٧ هـ - الخوئي)[1].

ومن هنا، تبرز اهمية هذا الكتاب (اصول الفقه) لمؤلفه الشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله ولما يتمتع به الكتاب من اهمية كبيرة فقد حرصنا على اعداد هذا البحث الذي يشتمل على الفصول التالية:

الفصل الأول: مباحث تمهيدية.

الفصل الثاني: المناهج الدراسية:

الفصل الثالث: على اعتاب اصول الفقه:

احمد كاظم البغدادي

(١) المظفّر، الشيخ محمّد رضا، أُصول الفقه، مقدّمة المحقق، الناشر: موسسة بوستان كتاب.

الفصل الأول

مباحث تمهيدية

المبحث الاول: حياة العلامة الشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله

المبحث الثاني: تاريخ الحوزة العلمية:

المبحث الثالث: طريقة التدريس:

المبحث الرابع: علم الاصول وتطوره التاريخي:

المبحث الخامس: أهمية دراسة علم الاصول:

المبحث السادس: علاقة علم الاصول بالمعارف الشرعية الاخرى:

المبحث السابع: المناهج الأصولية المعاصرة:

حياة العلامة الشيخ محمد رضا المظفر (رحمه الله)

أسرته:

أسرة المظفر من الأسر العلمية في النجف الأشرف، عرفت فيها في أواسط القرن الثاني عشر وقطن بعض رجالها (الجزائر) التابعة للواء البصرة.

وكان الفقيه المجتهد الشيخ محمد بن عبد الله (والد الفقيه الشيخ محمد رضا المظفر من علماء النجف ومراجع التقليد فيها) نشأ في النجف وترعرع فيها، وكان في عنفوان شبابه منقطعا إلى الجد والتحصيل، مكبا على العبادة والتدريس، إلى أن برع في الفقه وعرف بجودة التحقيق فيه، وألف موسوعة فقهية جليلة شرح فيها كتاب (شرائع الإسلام) وسماها (توضيح الكلام) وقد استقصى فيها الفقه من مبدئه إلى منتهاه[1].

ولادته:

ولد الشيخ محمد رضا المظفر في اليوم الخامس من شعبان عام ١٣٢٢هـ بعد وفاة والده بخمسة أشهر، فلم يقدر الله تعالى أن يظفر الطفل الرضيع برؤية والده ولا الوالد أن يظفر برؤية ولده، فكفله أخوه الأكبر الشيخ عبد النبي المتوفى سنة ١٣٣٧هـ وأولاه من عنايته وعطفه ما أغناه عن عطف الأبوة.

نشأته الفكرية:

نشأ الشيخ المظفر في البيئة النجفية، وتقلب في مجالسها ونواديها وحلقاتها ومحاضرها ومدارسها، وحضر فيها حلقات الدراسة العالية، وتخرج على يد كبار مراجع التقليد

(١) آل المظفر: الشيخ محمود المظفر.

والتدريس، وترعرع في هذا البيت العريق من بيوتات النجف العلمية، وتعهد رعايته وتربيته أخواه العلمان الشيخ عبد النبي والشيخ محمد حسن.

وابتدأ حياته الدراسية بما يتعارف عليه الطالب النجفي من حضور الدراسات الأدبية والفقهية والأصولية والعقلية، وتتلمذ على يد الشيخ محمد طه الحويزي في الأدب والأصول كما أتقن الشعر، وبرع في ذلك كله، وتتلمذ على يد غيره من أساتذة دروس مرحلة السطوح في ذلك الوقت، وبرز الشيخ الفقيد في ذلك كله.

وبعد أن أنهى الدور الإعدادي (السطح) تفرغ للدراسات العالية في الفقه والأصول والفلسفة، وحضر فيها على أخيه الشيخ محمد حسن مع أخيه الآخر الشيخ محمد حسين، كما حضر درس الشيخ اقا ضياء الدين العراقي في الأصول ودرس الشيخ ميرزا محمد حسين النائيني في الفقه والأصول وحضر بصورة خاصة أبحاث الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله في الفقه والأصول والفلسفة الإلهية العالية.

وانطبع الشيخ المظفر كثيرا بآراء أستاذه الشيخ الأصفهاني في الأصول والفقه والفلسفة وجرى على نهجه في البحث في كتابه (أصول الفقه)، حيث تبع منهجه في تبويب الأصول، كما يشير هو إلى ذلك في ابتداء الكتاب، كما تأثر بمبانيه الخاصة على ما يظهر ذلك من خلال كتابه الكبير (أصول الفقه) فيما أنجز من هذا الكتاب.

وكان يجله إجلالا كبيرا، كلما جرى له ذكر، أو أتيح له أن يتحدث عنه، ويخلص له الحب والاحترام، أكثر مما يخلص تلميذ لأستاذه، ويلمس القارئ هذا الشعور والوفاء فيما كتب المظفر عن أستاذه في مقدمات كتبه الفقهية والفلسفية وفي مقدمة الأسفار وغيرها من رسائله ومقالاته.

وتخرج كذلك على يد مشايخه في الفقه والأصول والفلسفة، واستقل هو بالاجتهاد

والنظر والبحث وشهد له شيوخه بذلك، وكان خلال ذلك كله يشتغل بالتدريس على مستوى الدراسات الإعدادية والدراسات العالية في الفقه والأصول والفلسفة، ذلك كله خارج مدارس منتدى النشر وكليتها، أما فيها فقد نذر حياته على تنميتها وتطويرها بمختلف الألوان.

وكان يقوم فيها بتدريس الأدب والمنطق والفلسفة والفقه والأصول من المستوى الأولي إلى المستوى العالي، لا تمنعه من ذلك مكانته المرموقة في الحوزة، ولا إمكانياته الفكرية العالية.

وكم كان الشيخ محمد رضا المظفر يحاضر على الصفوف الأولى من مدارس منتدى النشر، ويتلقى أسئلتهم برحابة صدر، ويدفعهم إلى البحث والدرس والتفكير، ويحشر نفسه معهم، حتى كان يبدو للانسان، لأول وهلة، أنه يخاطب زملاء له في الدراسة، لا طلابا بهذا المستوى.

وكان الشيخ يمتاز فوق ذلك كله بعمق النظر ودقة الالتفاتة وسلامة الذوق وبعد التفكير فيما تلقينا عنه من الفقه والأصول والفلسفة، وقد حاول الشيخ في بدء حياته الدراسية أن يلم بعلوم الرياضة والفلك والطبيعة والعروض.

فقد اتفق أن وقعت يد الشيخ على طرف من الثقافة العصرية، وهو في بدء شبابه، فتذوقها، وحاول أن يشق طريقا إلى هذا اللون الجديد من الثقافة واتفق مع آخرين ممن كانوا يتذوقون هذا اللون الجديد من الثقافة على أن يراسلوا بعض المجلات العلمية كالمقتطف وبعض دور النشر لتبعث إليهم هذه الصحف والكتب التي تحمل إليهم هذا اللون الجديد من الفكر.

وأتيح للشيخ فيما بعد أن يستمر على هذه الحالة ويواكب الحركة الفكرية الناشئة

ويأخذ نصيبا وافرا من هذه (العلوم الجديدة)، كما كانوا يسمونها، ويتأثر بها تأثرا بالغا إلى جنب تأثره بشيوخه في الفقه والأصول والفلسفة.

آثاره العلمية:

كان النشاط العلمي والكتابة والتأليف يشكل جزءا مهما من رسالة الشيخ محمد رضا المظفر ونشاطه، وإذا ضممنا نشاطه العلمي في التأليف والنشر إلى نشاطه الإصلاحي على الصعيد العام والصعيد الدراسي للمسنا جانبا من هذا الجهد الكبير الذي كان يبذله الشيخ في حياته.

وفي كتابات الشيخ يقترن جمال التعبير وسلامة الأداء وجدة الصوغ وروعة العرض بخصوبة المادة ودقة الفكرة وعمق النظرة وجدة المحتوى، ويتألف منها مزيج من العلم والأدب يشبع العقل ويروي العاطفة.

فقد كان يجري في الكتابة، كما يجري الماء، من غير أن يظهر عليه شيء من الكلفة أو التصنع، وينساق القارئ معه كما ينساق الماء على منحدر من الأرض، من دون أن يعرقل سيره شيء، ولا يصطنع في الكتابة هذه المحسنات البديعية التي تصرف الكاتب عن الانسياق مع الفكرة وتصرف القارئ عن مجاراة الموضوع.

والمواضيع التي كان يتناولها بالكتابة والبحث مواضيع علمية كالأصول والمنطق والفلسفة، يعسر على الأديب أن يصوغها صياغة أدبية أو يفرغها في قالب أدبي من التعبير، وقد توفق الشيخ إلى أن يضم إلى عمق المادة جمال العرض وأكثر ما يبدو هذا التوفيق في كتابه (أحلام اليقظة) حيث يناجي فيها صدر المتألهين ويتحدث معه فيما يتعلق بنظرياته في الفلسفة الإلهية العالية ويتلقى منه الجواب بصورة مشروحة وبعرض قصصي جميل.

ولا أبالغ إذا قلت إن الكتاب فتح كبير في الكتابة الفلسفية فلا تشكو الفلسفة شيئا كما تشكو الكتابة التي لا تخضع لها أداتها، وقد حاول الشيخ المظفر أن يخضع الكتابة للفلسفة، أو يخضع الفلسفة للكتابة، ويجمع بينهما في كتابه هذا.

وتمتاز كتابات الشيخ المظفر بعد ذلك بروعة العرض والتنسيق، حتى أن كل نقطة من البحث تأتي في موضعها الطبيعي ولا تتغير عن مكانها الخاص حتى تختل أطراف البحث، ويبدو عليه الاضطراب ويتجلى توفيق الكاتب في التنسيق في كتاب (المنطق) أكثر من غيره، ففي هذا الكتاب يجد القارئ كيف تأخذ المواضيع بعضها برقاب بعض، وكيف يترتب كل موضوع على سابقه في تسلسل طبيعي، من غير أن يحيل الطالب إلى موضع آخر في غير هذا الكتاب أو إلى ما يمر عليه فيما بعد.

ويعتبر الكتاب بالانضمام إلى شقيقيه (الأصول) و (الفلسفة) التي لم يقدر الله لها أن يظهرا كاملين. تجديدا في كتابة الكتب الدراسية، وفتحا في هذا الباب، وعسى أن يقيض الله من يتابع خطوات الشيخ المظفر في هذا السبيل.

ويجد الباحث بعد ذلك في كتب الشيخ المظفر جدة البحث والتفكير التي تطبع كتاباته جميعا، ويجد ملامح هذه الجدة في البحث والتحليل واضحة قوية في كتابه (السقيفة) عندما يحلل اجتماع المسلمين في سقيفة بني ساعدة وما حدث هناك، وعندما يتحدث عن موقف المهاجرين والأنصار من مسألة الخلافة وموقف الإمام مع الخلفاء، كما يجد هذه الجدة في المنطق عندما يستعير العلامات المستعملة في الرياضيات للنسب الأربع أو عندما يعرض للقارئ بحث القسمة، أو في غير ذلك مما يزدحم به هذا السفر القيم من تجديد البحث وجمال العرض وترابط الفكرة.

شعره:

وكان الشيخ المظفر يمارس النظم في شبابه بين حين وآخر وله شعر متين رقيق الديباجة، تجده منشورا في بعض الكتب والصحف، ويجد القارئ فيه صورا شعرية طريفة ويلتقي فيه بآفاق أدبية جديدة، وانصرف عنه بعد ذلك إلى غيره من الشؤون الفكرية البناءة [1].

وفاته:

توفي الشيخ ليلة (١٦ رمضان، ١٣٨٣ هـ)، (٣١ / ١ / ١٩٦٤م)، عن ٦١ عاماً، وشيع تشييعاً مهيباً حافلاً بالعلماء وغيرهم، ودفن في وادي السلام في النجف الأشرف في المقبرة الخاصّة بأسرته بجانب أخيه الشيخ محمد حسن المظفّر.

(١) فصل مستل من كتاب (مدرسة النجف).

تاريخ الحوزة العلمية

لعل الإحاطة بالحديث عن تاريخ ونشوء وتطور الحوزة العلمية تعد من الأمور العسيرة لما لها من السعة والعمق... ولا شك في أن بذور نشوء الحوزة العلمية ابتدأ من زمان الغيبة الكبرى للإمام الحجة بن الحسن(عجل الله فرجه الشريف) ونعني بالنشوء أن المدرسة بلغت أوجها ونضجها الخاص وكمالها المرحلي في هذا الزمان بالخصوص إلى يومنا هذا، ولا بأس بالإشارة العابرة المجملة عن تاريخ مدارس الفقه الشيعي حسب توالي العصور.

تاريخ مدارس الفقه الشيعي:

- مدرسة الكوفة: ظهرت من اوساط القرن الثاني (مرحلة حياة الامام الصادق عليه السلام) واستمرت إلى الربع الأول من القرن الرابع (الغيبة الكبرى).

- مدرسة قم: ظهرت من الربع الأول من القرن الرابع واستمرت إلى النصف الأول من القرن الخامس (أيام السيد المرتضى وشيخ الطائفة الطوسي) أعلى الله مقامهما.

- مدرسة بغداد: وظهرت من النصف الأول من القرن الخامس إلى احتلال بغداد من قبل المغول سنة ٦٥٦ هـ.

- مدرسة الحلة: وظهرت من احتلال بغداد، واستمرت إلى حياة الشهيد الثاني عام ٩٦٥ هـ.

ولكل مدرسة من هذه المدارس طريقتها الخاصة وأبعادها الفكرية المختصة بها

ولكن المهم هو الاتحاد في الهدف، فالمدارس الشيعية وعلماء الشيعة أهدافهم واحدة وإن اختلفت الآراء والمشارب والطرق الاستدلالية.

ولعلَّ النقطة التي وجدت في الحوزة العلمية مفقودة في غيرها من المدارس والأماكن التي يرتادها طلبة العلم من المسلمين، فقد يدرس الإنسان في الجامعات والمعاهد وغيرهما لكنه لا يجد الطبيعة التي درجت عليها الحوزة العلمية، أي روح البحث والنقاش للوصول إلى الحقيقة التي هي الهدف الأسمى لكل إنسان.

طريقة التدريس:

إن الكيفية المتبعة في التدريس في الحوزة العلمية بصورة عامة هي واحدة في جميع مراكز الشيعة وإن اختلفت بعض الشيء في زماننا الحالي، وليس هي على شاكلة الطرق المتبعة في الأنظمة التربوية التي نألفها هذه الأيام.

فهي دراسة لا تعتمد على أساس نظام الصفوف وهي فردية تتم على شكل حلقات تمارس اليوم كما بدأت منذ عهد الشيخ الطوسي، وليس هناك نظام للامتحانات أو لمنح الشهادات كما هو متعارف عليه اليوم في الكثير من المدارس الحديثة، وإنما يترك للطالب اختيار الكتاب الذي يريد دراسته، والأستاذ الذي يتلقى من علومه، وحتى مكان الدرس وزمانه فإنه يتم الاتفاق عليه بين التلميذ والأستاذ.

ولقد شهدت الحوزة العلمية خلال العقود الأربعة الماضية دعواتٍ لتطوير هذه الطرائق في التدريس فيما وجدنا في المقابل إصراراً على ضرورة إبقاء الأسلوب في الدراسة كما هو، وبين هذا الاتجاه وذاك وقف فريق يدعو للجمع بين الأسلوبين.

المراحل الدراسيّة في الحوزة العلميّة:

تتم الدراسة في الحوزة العلمية في ثلاث مراحل:

دراسة المقدمات وتقوم مقام الدور الابتدائي في الأنظمة التربوية.

دراسة السطوح وتقوم مقام الدور المتوسط.

دراسة الخارج (ما يطلق عليه بحث الخارج) وتقوم مقام الدراسات العالية.

المرحلة الأولى (المقدمات)

يقتصر الطالبُ في الدور الأول على دراسة النحو والصرف والعلوم البلاغية والعروض والمنطق والفقه وأصول الفقه وبعض النصوص الأدبية.

من الكتب الدراسية المتعارف عليها في هذه المرحلة:

في النحو والصرف:

- الأجرومية: لمؤلفها ابي عبد الله محمد بن محمد بن آجروم المغربي الفاسي قطر الندى وبل الصدى: لابن هشام الأنصاري.

- ألفية ابن مالك مع شرحها: ولها أكثر من شرح منها شرح ابن مالك، وقد شرح أرجوزة أدبيَة وتسمى في الأوساط العلمية شرح ابن الناظم (أي الناظم للأرجوزة) ولعله أفضلها، ومنها شرح ابن عقيل الهُذلي.

- في البلاغة والمعاني والبيان:

- المطّول: لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني المتوفى عام ٧٩١ هـ/ ١٣٨٨ م.

- جواهر البلاغة: لأحمد بن إبراهيم الهاشمي، وهو من أدباء مصر توفي فيها عام ١٣٦٢ هـ/ ١٩٤٣ م.

- في المنطق:

- الحاشية: لملّا عبد الله.

- تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية: لقطب الدين الرازي المتوفى عام ٧٦٦ هـ/ ١٣٦٥ م.

- كتاب المنطق: وقد استعاض الطلاب في الفترة الأخيرة عن هذين الكتابين بكتاب المنطق للشيخ محمد رضا المظفر.

المرحلة الثانية (دراسة السطوح)

يتفرغ الطالب في الدور الثاني لدراسة الكتب الاستدلالية الأصولية والفقهية والفلسفية.

وأسلوب الدراسة المتعارف عليه في هذا الدور هو أن يحصل الاتفاق على الكتاب المختص بهذا الفن أو ذاك، فيقرأ الأستاذ مقطعاً من الكتاب ثم يشرح الموضوع بما يزيل عنه الغموض والإبهام، ثم يستعرض بعض النقوض التي ترد عليه ويستمع بعد ذلك لما يثيره الطلبة من تعليقات، فيصحح آراءهم إذا كانت بحاجة إلى التصحيح، أو يتنازل عندها إذا كانت آراؤهم جديرة بذلك.

وتتسم هذه المرحلة الدراسية بالطابع الاستدلالي.

من الكتب الدراسية المتعارف عليها في هذه المرحلة:

في الفقه

الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: الأصل للشيخ محمد بن جمال الدين مكي العاملي، المشهور بالشهيد الأول، استشهد عام ٧٨٦ هـ/ ١٣٨٤م والشرح للشهيد الثاني زين الدين الجبعي العاملي المشهور بالشهيد الثاني المستشهد عام ٩٦٥ هـ.

المكاسب: للشيخ مرتضى بن محمد أمين التستري الأنصاري المتوفى عام ١٢٨١ هـ/ ١٨٨٢م. وهو ثلاثة أقسام "المكاسب المحرمة، والبيع، والخيارات".

في الأصول

كفاية الأصول: للشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بالآخوند المتوفى عام ١٣٢٩ هـ/ ١٩٠٨ م.

الرسائل (فرائد الأصول): للشيخ الأنصاري صاحب المكاسب.

أصول الفقه: للعلامة الشيخ محمد رضا المظفر.

في الفلسفة

تجريد الاعتقاد: لنصير الدين الطوسي المتوفى عام ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣ م.

بداية الحكمة ونهاية الحكمة: وقد اعتاد الطلاب في العقدين الأخيرين على دراسة بداية الحكمة ونهاية الحكمة للسيد محمد حسين الطباطبائي (صاحب تفسير الميزان).

الحكمةُ المتعالية في شرح الأسفار العقلية الأربعة للملا صدرا.

شرح المنظومة للملا هادي السبزواري.

المرحلة الثالثة (مرحلة البحث الخارج)

سميت المرحلة الثالثة بمرحلة البحث الخارج؛ لأن الدراسة فيها تتم خارج نطاق الكتب التي يعتمدها الأستاذ في تحضير مادته في هذه المرحلة، ينتقل الطالب في الجامعة النجفية إلى الدور الأخير من حياته الدراسية، بعد أن وقف على هذه الآفاق الرحبة من الفكر الإسلامي.

علم الاصول وتطوره التاريخي:

ويمكن تقسيم تاريخ علم الاصول الى ثلاث دورات:

الدورة الاولى: دورة التأسيس:

أوّل من أسّس علم أصول الفقه وفتح بابه ورسّخ قواعده هو الامام الهمام أبو جعفر الباقر عليه السلام، ثم ابنه الامام أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، كما قال العلّامة السيد حسن الصدر: «أوّل من أسّس اصول الفقه وفتح بابه وفتق مسائله الامام أبو جعفر الباقر عليه السلام، ثم بعده ابنه الامام أبو عبد الله الصادق عليه السلام، وقد أمليا أصحابهما قواعده، وجمعوا من ذلك مسائل رتّبها المتأخّرون على ترتيب المصنّفين فيه بروايات مسندة إليهما[1]».

ويشهد على ذلك ما في كتب الحديث من الروايات التي ترتبط بالعناصر المشتركة في عملية الاستنباط، كأصل البراءة والاستصحاب وحجيّة الظاهر، وغيرها من القواعد الأُصولية.

وقد صنّف بعض المتأخّرين كتباً فيها الأحاديث المأثورة عنهم في قواعد الفقه:

منها: كتاب: «أُصول آل الرسول صلى الله عليه واله» في استخراج أبواب أصول الفقه من الروايات، ألّفه العلاّمة السيّد الشريف ميرزا محمّد هاشم بن الميرزا زين العابدين الموسوي الخوانساريّ، المتوفّى سنة ١٣١٨هـ.

ومنها: كتاب «الاصول الاصليّة والقواعد المستنبطة من الآيات والأخبار المرويّة» للعلامة السيد عبد الله بن محمد الرضا شبّر الحسيني الكاظميّ، المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ.

---

(١) الصدر، السيد حسن، تأسيس الشيعة: ٣١٠، شركة النشر والطبع العراقية المحدودة.

الدورة الثانية: دورةالتدوين:

اعلم انّ علم الأُصول أُسّس في عصر الامامين الصادقين - كما أشرنا- ولكنّه لم يكن مدوَّناً.

قال السيوطيّ في محكيّ كتاب الأوائل: «أوّل مَن صنف في أصول الفقه، الامام الشافعي[١]»، وصّرح بذلك صاحب كشف الظنون[٢].

وقيل: يحتمل أن يكون أبا يوسف بن إبراهيم الذي كان سابقاً على الشافعي، قال ابن خلّكان: «هو أول من صنع الكتاب في أصول الفقه على مذهب [أستاذه] أبي حنيفة[٣]».

وقيل: يحتمل أن يكون محمد بن الحسن الشيبانيّ فقيه العراق؛ لأنّه توفي سنة ١٨٢ هـ أو سنة ١٨٩ هـ، والشافعيّ مات في سنة ٢٠٤ هـ، وقد صرّح ابن النديم في «الفهرست[٤]» بأن للشيبانّي ـ من مؤلّفاته الكثيرة ـ تأليف سُمّي «أُصول الفقه».

ولكن التحقيق ـ كما يظهر من كتاب «تأسيس الشيعة»[٥] للعلّامة السيد حسن الصدر ـ أنّ أوّل مَن صنّف في بعض مسائل علم الاصول هشام بن الحكم المتوفّى سنة ١٧٩ هـ، تلميذ الامام الصادق عليه السلام، صنّف كتاب «الألفاظ ومباحثها»، ثم يونس بن

---

(١) السيوطي، جلال الدين، الوسائل في مسامرة الأوائل: ١٠٣، دار الكتب.

(٢) خليفة، حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ١: ١١١، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

(٣) ابن خلكان، محمد باقر بن عبد الحسين خان، تاريخ ابن خلكان ٢: ٤٦٣، نشر موسسة الاعلمي.

(٤) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي، الفهرست: ٢٨٥، دار المعرفة بيروت - لبنان.

(٥) الصدر، السيد حسن، تأسيس الشيعة: ٣١٠، شركة النشر والطبع العراقية المحدودة.

عبد الرحمن مولى آل يقطين تلميذ الامام الكاظم عليه السلام، صنّف كتاب «اختلاف الحديث ومسائله».

الدورة الثالثة: دورة الاستناد:

ثم جاءت الدورة الثالثة، وهي دورة الاستناد الى قواعد أصول الفقه في مقام الاستنباط وهذه الدورة لا تتقدم على الغيبة الكبرى.

وأوّل من استند إلى أُصول الفقه واعتمد عليه في مقام الاستنباط الشيخ الجليل حسن بن علي بن أبي عقيل صاحب كتاب «المستمسك بحبل آل الرسول»، وهو من مشايخ جعفر بن محمد بن قولويه، وهو أوّل من هذّب الفقه واستعمل النظر، وفتق البحث عن الاصول والفروع في ابتداء الغيبة الكبرى.

ثمّ اقتفى أثره ابن الجنيد المعروف بالاسكافي، وهو أستاذ الشيخ المفيد.

ثمّ وصل الدور الى محمد بن محمد بن نعمان بن عبد السلام المعروف بـ«الشيخ المفيد»، فألّف كتاب «التذكرة بأُصول الفقه»، واعتمد على الاصول في مقام الاستنباط.

ثمّ انتقل الدور إلى تلامذته.

منهم: الأجل السيّد المرتضى الملقّب بـ «علم الهدى» (المتوفّى سنة ٤٣٦ هـ). ومنهم: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن حسين بن علي الطوسي (المتوفى سنة ٤٥٤)، ومنهم: سلّار بن عبد العزيز الديلميّ (المتوفى سنة ٤٣٦ هـ)، فقد صنّف الاوّل كتاب «الذريعة إلى إصول الشريعة».

والثاني كتاب «العدّة في أصول الفقه»، والثالث كتاب «التقريب».

وبعد الشيخ الطوسيّ توقّف سير البحث عن نظريّات السابقين ونقدها؛ وذلك

لحُسن ظنّ تلامذة الشيخ بما استنبطه، وأفتى به في كتبه.

استمرّت هذه الحالة مدّة تقرب من قرن، إلى أن وصلت النوبة إلى سبط الشيخ ابن ادريس الحلّي (المتوفى سنة ٥٩٨ هـ)، فأقام مجلس البحث والنقد، وألّف في الفقه الاستدلالي كتاب «السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي».

وبعد ابن إدريس وصل الدور الى المحقق الحلّي صاحب «شرائع الاسلام» (المتوفى سنة ٦٧٦ هـ)، فألّف في أُصول الفقه كتاب «نهج الوصول الى معرفة الاصول»، وكتاب «معارج الوصول الى علم الاصول». إلى أن وصلت النوبة الى العلامة أبي منصور جمال الدين حسن بن يوسف بن علي بن مطهّر (المتوفى سنة ٧٢٦ هـ)، فالعلامة بعد الدقة والنظر في كتب القوم ألّف كُتباً قيمة في علم الاصول: منها: كتاب «غاية الوصول في شرح مختصر الاصول» و«النكت البديعة في تحرير الذريعة» و«نهج الوصول الى علم الاصول» و«منتهى الوصول الى علمي الكلام والاصول» و«تهذيب طريق الوصول الى علم الأصول» و«مبادئ الوصول الى علم الاصول»، وهذه الكتب صارت محط أنظار العلماء، لاسيما كتاب «معارج الوصول» الذي تصدى لشرحه جمع من العلماء، بل كانت هذه الكتب مدار البحث والتحقيق إلى زمان الشهيد الثاني (المتوفى سنة ٩٦٥ هـ)، وقد ألّف الشهيد الثاني كتاباً سمّاه «تمهيد القواعد».

ثم ألّف ابن الشهيد الثاني أبو منصور جمال حسن بن زين الدين (المتوفى سنة ١٠١١ هـ) كتاباً سمّاهُ «معالم الدين»، وهذا الكتاب لسلاسة تعبيره، وجودة جمعه، وسهولة تناوله صار مدار البحث والدرس بين الاكابر، فاقبلوا عليه بالتحشية والتعليق والشرح.

وفي القرن الثالث عشر بلغت العناية بعلم الاصول مرتبةً اتصفت بالاطناب

والتطويل، فألّفوا كُتباً مفصّلة ومبسوطة في علم الأصـول، منها كتاب «هداية المسترشدين» للشيخ محمد تقي الاصفهاني، وكتاب «قوانين الاصول» للمحقق القمّي (المتوفى سنة ١٢٣١ هـ)، وكتاب «الفصول» للشيخ محمد حسين الاصفهاني (المتوفى سنة ١٢٦١هـ)، وكتاب «فرائد الاصـول» للشيخ الاعظم الانصاري (المتوفى سنة ١٢٨١ هـ).

وشرع الدور الآخر من زمان المحقق الشيخ محمّد كاظم الخراساني (المتوفى ١٣٢٩ هـ) الملقّب بـ «الآخوند الخراسانيّ»، فانّه بادر الى تنقيح الاصول وتحريرها عن الفضول، ورتبها على وجه أنيق، وألّف كتاب «كفاية الاصول»، وصار هذا الكتاب من الكتب الاصولية المتداولة عند دارسي العلوم في الحوزات العلمية وغيرها، بل صار محط أنظار الاساتذة وأهل العلم والتحقيق.

وبعد انتهاء دور المحقق الخراساني انتقل الدور الى تلامذته، لاسيّما الاعلام الثلاثة:

١ـ المحقق الميرزا حسين النائيني (المتوفى ١٣٥٥ هـ).

٢ـ المحقق الشيخ محمد حسين الاصفهاني المعروف بـ (الكمباني) (المتوفي ١٣٦١ هـ).

٣ـ المحقق الشيخ ضياء الدين العراقي (المتوفى ١٣٦١ هـ)، فهؤلاء الأعلام الثلاثة قد انكبوا على تهذيب علم الاصول وتعميقه وترتيبه، فتخرّج من معهد بحثهم ومجلس درسهم كثيرٌ من العلماء والمجتهدين منهم صاحب كتاب «أصول الفقه» العلامة المحقق الشيخ محمد رضا المظفر.

أهمية دراسة علم الاصول:

إن دراسة علم الاصول لا يستغني عنها الفقه والقانون والقضاء؛ لأن مراعاة

ضوابط هذا العلم الصحيحة تعصم الذهن عن الخطأ في الاستنباط في القضايا الشرعية او القانونية او القضائية، ومن هنا ادخلته بعض الجامعات العلمية كمادة قانونية في منهجيتها العلمية كجامعة هارفارد الامريكية[1].

وتبرز أهمية علم الاصول في مجالين هامين من الحياة الانسانية اكثر من غيرهما وهما:

أ: اهمية الاصول في مجال الفقه:

يستفيد الدارسون لعلم اصول الفقه على اختلاف مستوياتهم في المجالات التالية:

١ـ الاستنباط: فإن من بلغ رتبة الاجتهاد لا يمكنه الوصول الى استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها من غير قواعد الاصول، فعلى المجتهد الفقيه أن يكون مجتهداً في الاصول اولاً حتى يمكنه استنباط الاحكام؛ لأن القواعد الاصولية هي الادوات التي يستخدمها للوصول الى الحجج على الاحكام الشرعية الالهية.

٢ـ القضاء: فإن من يتصدى للقضاء لا يستغني عن القواعد الاصولية في ترجيح الادلة والفتاوي المتعارضة في القضايا والمرافعات بناء على جواز تولي القضاء من قبل غير المجتهدين، لا سيما اذا اراد أن يقضي بين الناس حسب مذاهبهم المختلفة.

٣ـ التقنين: فإن القانوني يحتاج الى مراجعة الآراء المختلفة للوصول الى القانون الأفضل أو الأكثر ملائمة للاحكام الشرعية والقانوية، والمقنن الذي يريد أن يوازن بين الآراء ويقوّم وينقد بعض تلك الآراء لا غنى له عن ضوابط هذا العلم، لأنها تعطي الميزان الصحيح لنقد الاراء وترجيحها.

ب ـ أهمية الاصول في مجال القانون.

---

(١) الزلمي، الدكتور مصطفى إبراهيم، أصول الفقه: ٤، ط الخنساء.

تظهر اهمية اصول الفقه في مجال القانون من خلال:

١ـ فهم النصوص القانونية، فإن النصوص القانونية كما النصوص الشرعية فيها العام والخاص والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والمبين يفسر المجمل وهكذا، وكل ذلك لا يمكن للقانوني القيام به الا بالاستعانة بقواعد علم الاصول.

٢ـ إن دلالات النصوص في القانون مختلفة، فبعضها صريح في الدلالة، وبعضها غير صريح، وبعض مضامين القانون يدل عليها المنطوق، وبعضها يدل عليها المفهوم، والمفهوم تارة يكون موافقاً وتارة مخالفاً الى غير ذلك من المضامين التي لا يمكن الوصول اليها الا عبر دراسة علم الاصول والمعرفة بقواعده؛ بداهة أن الصيغ القانونية بعضها بمنزلة الشرط وبعضها بمنزلة السبب وبعضها بمنزلة الداعي الى غير ذلك من الحقائق التي لا تتميز الا عند الأصول[1].

الوسائل الرئيسية للإثبات في علم الأصول:

في هذا المجال نقول: إنّ الوسائل الرئيسية التي ينبغي لعلم الأُصول أن يستخدمها مردّها إلى وسيلتين رئيسيّتين، وهما:

١ـ البيان الشرعي الكتاب والسنّة.

٢ـ الادراك العقلي.

فلا تكتسب أيّ قضيةٍ طابع العنصر المشترك في عملية الاستنباط، ولايجوز إسهامها في العملية إلّا إذا أمكن إثباتها بإحدى هاتين الوسيلتين الرئيسيّتين، فإذا حاول الأُصولي ـ مثلاً ـ أن يدرس حجّية الخبر لكي يدخله في عملية الاستنباط ـ إذا كان حجّة ـ يطرح

---

(١) الصفار، الشيخ فاضل، أصول الفقه وقواعد الاستنباط ١: ٢٢، مع تصرف في العبارة، مركز الفقاهة للدراسات والبحوث الفقهية.

على نفسه هذين السؤالين:

هل ندرك بعقولنا أنّ الخبر حجّة وملزم بالاتّباع، أمْ لا؟

وهل يوجد بيان شرعيّ يدلّ على حجيّته؟

ويحاول الأُصولي في بحثه الجواب على هذين السؤالين وفقاً للمستوى الذي يتمتّع به من الدقّة والانتباه، فاذا انتهى الباحث من دراسته إلى الإجابة بالنفي على كلا السؤالين كان معنى ذلك أنّه لا يملك وسيلةً لإثبات حجّية الخبر، وبالتالي يستبعد الخبر عن نطاق الاستنباط. وأمّا إذا استطاع الباحث أن يجيب بالإيجاب على أحد السؤالين أدّى هذا إلى إثبات حجّية الخبر ودخولها في عملية الاستنباط بوصفها عنصراً أُصولياً مشتركاً.

وسوف نرى خلال البحوث المقبلة أنّ عدداً من العناصر المشتركة قد تمّ إثباتها بالوسيلة الأولى ـ أي البيان الشرعي ـ وعدداً آخر ثبت بالوسيلة الثانية، أي الإدراك العقلي، فمن قبيل الأول: حجّية الخبر الظهور العرفي، ومن نماذج الثاني القانون القائل: «إنّ الفعل لايمكن أن يكون واجباً وحراماً في وقتٍ واحد».

وعلى ضوء ما تقدّم نعرف أن من الضروري ـ قبل البدء في بحوث علم الأُصولي لدراسة العناصر المشتركة ـ أن ندرس الوسائل الرئيسية التي ينبغي للعلم استخدامها في سبيل إثبات تلك العناصر، ونتكلّم عن حدودها؛ لكي نستطيع بعد هذا أن نستخدمها وفقاً لتلك الحدود[1].

علاقة علم الاصول بالمعارف الشرعية الاخرى:

ولنعط مثالاً لذلك من كتاب الكافي، كتاب الزكاة: باب فضل الصدقة: «علي بن

---

(١) الصدر، محمد باقر، المعالم الجديدة للأصول: ٤٧، مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر.

ابراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: سمعته يقول: **يستحب للمريض أن يعطي السائل بيده، ويأمر السائل أن يدعو له**»[1].

إننا إذا أردنا أن نستدل بهذا الحديث الشريف علينا اتباع الخطوات التالية التي تبين لنا العلاقات المتدرجة بين موضوعنا وهو علم الاصول والعلوم الشرعية الأخرى:

١ـ نرجع إلى كتب الرجال لنعرف مستوى قيمة كل راوٍ من رواة هذا الحديث، وهم:

محمد بن يعقوب الكليني، قال فيه النجاشي: «كان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم» = إمامي عادل.

علي بن ابراهيم القمي، قال فيه النجاشي: «ثقة في الحديث، وثبت معتمد، صحيح المذهب» ، إمامي عادل.

-ابراهيم بن هاشم القمي، قال فيه الخوئي: «لا ينبغي الشك في وثاقة ابراهيم بن هاشم » ، امامي عادل.

محمد بن أبي عمير الأزدي، قال فيه النجاشي: «ثقة، من أصحابنا، جليل، لا يطعن عليه بشيء» ، إمامي عادل.

-عبد الله بن سنان، قال فيه النجاشي: «ثقة، من اصحابنا، جليل، لا يطعن عليه بشيء»، امامي عادل.

٢ـ ثم نرجع الى علم الرجال، ونطبق القاعدة الرجالية التي تقول: كل راوٍ شهد بوثاقته الرجاليون المتقدمون، أو قامت القرائن الدالة على وثاقته، هو ثقة، وننتهي من

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي: كتاب الزكاة: باب فضل الصدقة، دار الحديث للطباعة والنشر.

تطبيقها إلى أن رواة هذا الحديث كلهم ثقات عدول.

٣ـ وبعد ذلك نرجع إلى علم الحديث، ونطبق القاعدة الحديثية القائلة: كل سند رواته إماميون عدول فهو صحيح.

فنتوصل إلى أن سند هذا الحديث معتبر وبمستوى الصحيح.

٤ـ ثم نرجع إلى علم أصول الفقه ونطبق القاعدة الأصولية التي تقول: خبر الثقة حجة، فتسلمنا إلى أن هذا السند حجة؛ لأن جميع رواته ثقات.

٥ـ وبعد ثبوت صحة صدور هذه الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام ـ كما رأينا ـ نرجع الى العرف الاجتماعي العربي، وسنراه يرى أن دلالة هذا الحديث هي من نوع الدلالة الظاهرية، لظهور معناه عندهم في استحباب إعطاء المريض الصدقة للسائل بنفسه، وأمره أن يدعو له بالشفاء.

٦ـ وأخيراً: نعود الى علم اصول الفقه ونطبق على دلالة الحديث قاعدة الظهور التي تقول: كل ظاهر حجة.

فنقول:

هذا ظاهر وكل ظاهر حجة، فهذا حجة.

ثم نصوغ النتيجة باللغة الفقهية فنقول: يستحب للمريض أن يعطي الصدقة للسائل بنفسه، كما يستحب له أن يأمره بالدعاء له بالشفاء.

وهكذا رأينا أن هذه العلوم الشرعية يرتبط بعضها بالآخر ارتباطاً تدرجياً، يمهد السابق منها للاحق، حتى الوصول الى النتيجة، وهي استنباط الحكم الشرعي من

الحديث الشريف[١].

المناهج الأصولية المعاصرة

النقطة الأخيرة في هذا الفصل لابد أن نشير إليها في هذه المقدمة هي أهم المناهج المعاصرة لعلم الأصول منذ عصر الشيخ الأنصاري إلى اليوم لنعرف موضع المنهج الذي يتخذه شيخنا المظفر﵀ في كتاب «أصول الفقه» وأهم هذه المناهج: منهج الشيخ الأنصاري، منهج المحقق الخراساني صاحب الكفاية، منهج المحقق الشيخ محمد حسين الأصفهاني﵀ والذي اتخذه شيخنا المظفر﵀ أساسا في تدوين هذا الكتاب (اصول الفقه).

وهناك مناهج أخرى هامة ساهمت في تطوير المنهجية الحديثة لعلم الأصول لا أتحدث عنها رغم أهميتها إيثارا للاختصار وهي:

١- منهجية المحقق النائيني﵀.

٢- منهجية السيد الخوئي﵀.

وإليك الآن شرح موجز للمناهج الثلاثة المتقدمة: منهج الشيخ الأنصاري﵀:
يقول الشيخ الأنصاري﵀ في بداية كتاب «فرائد الأصول»: اعلم أن المكلف إذا التفت إلى حكم شرعي فإما أن يحصل له الشك فيه أو القطع أو الظن، فإن حصل له الشك فالمرجع فيه القواعد الشرعية الثابتة للشاك في مقام العمل، وتسمى بالأصول العملية، وهي منحصرة في الأربعة؛ لأن الشك إما أن يلاحظ فيه الحالة السابقة أو لا.

وعلى الثاني فإما أن يمكن الاحتياط أو لا، وعلى الأول فإما أن يكون الشك في التكليف أو المكلف به. فالأول مجرى الاستصحاب، والثاني مجرى التخيير، والثالث

---

(١) الفضلي، عبد الهادي، اصول علم الرجال: ٢٣(بتصرف)، موسسة ام القرى للتحقيق والنشر.

مجرى أصالة البراءة، والرابع مجرى قاعدة الاحتياط.

وبعبارة أخرى: الشك إما أن يلاحظ فيه الحالة السابقة أو لا، فالأول مجرى الاستصحاب، والثاني إما أن يمكن الاحتياط فيه أو لا، فالأول مجرى قاعدة الاحتياط، والثاني مجرى قاعدة التخيير.

وما ذكرنا هو المختار في مجاري الأصول الأربعة.

وهو تنظيم جديد وجيد، وقائم على أساس علمي متين.

وعلى هذا الأساس استقر علماء الأصول في تنظيم أبحاث الأصول منذ عهد الشيخ الأنصاري إلى اليوم الحاضر.

وهذا التمييز بين الأدلة الاجتهادية والفقاهتية، وتبويب الأدلة على أساس منها مما يختص به فقهاء الإمامية المعاصرون منذ عصر الشيخ الأنصاري إلى الوقت الحاضر، وعندما نرجع إلى كتب الأصول للمذاهب السنية - المعاصرة منها والقديمة - لا نجد مثل هذا التفكيك، ونرى أنهم يذكرون هذه الأدلة في عرض واحد.

فالكتاب والسنة والإجماع يذكر في عرض القياس والاستحسان، وهما في عرض الاستصحاب والبراءة.

ملاحظات عامة على منهج الشيخ الأنصاري

نشير هنا على نحو الاختصار إلى ملاحظتين تخصان منهج الشيخ الأنصاري ثم نعقبه بعد ذلك بملاحظة تعم المنهج الأول والثاني وهما نهج الشيخ الأنصاري وصاحب الكفاية.

أما التي تخص منهج الشيخ فهي: أولا: تداخل الأقسام الثلاثة التي يقسم

الشيخ ﷺ بموجبها كتابه (فرائد الأصول)... فإن المقصود بالظن لا محالة: الأعم من الشخصي والنوعي، ضرورة أن الأمارات لا تورث الظن الشخصي دائما، والمقصود بظنية الأمارات الأعم من الظن الشخصي والنوعي، فانها لدى غالب الناس توجب الظن دائما... وعليه فإن الأمارات تدخل في باب الشك والظن معا، في بعض الأحيان، بالاعتبار الشخصي والنوعي.

وثانيا: ليس كل مجاري الحجج والأدلة والطرق (الأمارات) من باب الظن، ولا كل مجاري الأصول العملية من موارد الشك.

فقد يكون المكلف شاكا بالحكم، ولكن يقوم لديه دليل معتبر شرعا، فيكون حجة عليه في الحكم الواقعي، ولا يجري فيه الأصل.

وقد يكون ظانا بالحكم الشرعي، ولكن لا يقوم لديه دليل معتبر شرعا على حجية الطريق الظني، فيكون هذا المورد من مجاري الأصول العملية.

وعليه، فإن تثليث الأقسام بالطريق الذي ذكره الشيخ ﷺ لا يخلو عن مناقشة، وإن كان التفكيك بين الأمارات والأصول (الأدلة الفقاهتية والأدلة الاجتهادية)، على النهج الذي ذكره الشيخ ﷺ انطلاقا من هذا التقسيم هو الصحيح، وهو الأساس الأول للمدرسة الحديثة في علم الأصول.

منهج المحقق الخراساني(رحمه الله):

وناقش المحقق الخراساني هذا التقسيم؛ لأن الظن ليس دائما المساحة المخصصة للرجوع إلى الطرق والأمارات، كما أن الشك ليس دائما المساحة المخصصة للرجوع إلى الأصول العملية.

فقد يرجع المكلف في مورد الظن إلى الأصول العملية لعدم وجود طريق معتبر، كما

قد يرجع في مورد الشك إلى الأمارات لوجود طريق معتبر من ناحية الشارع، ولذلك فقد اقترح المحقق الخراساني﵀ تثليث الأقسام بالطريقة التالية: «فالأولى أن يقال: إن المكلف إما أن يحصل له القطع أو لا، وعلى الثاني إما أن يقوم عنده طريق معتبر أو لا».

وفي هذا التقسيم يكون المعيار في الرجوع إلى الطرق والأمارات الطريق المعتبر، وإن كان المورد موردا للشك، ويكون المعيار للرجوع إلى الأصول العملية عدم وجود طريق معتبر من ناحية العقل أو الشرع، وإن كان المورد موردا للظن.

ملاحظة على منهجية المحقق صاحب الكفاية

وهذه المنهجية سليمة ولا تنقص من قيمتها العلمية المناقشة التي ذكرها المحققان العراقي والإصفهاني على هذا التقسيم[1].

غير أن المحقق الخراساني﵀ كان بصدد تنظيم بحث الحجج في الأصول وترتيبها وتقديم بعضها على بعض، ولم يكن بصدد تنظيم منهج عام لعلم الأصول ولذلك فإن هذا المنهج يصلح أن يكون منهجا لبحث الحجج، وهو ما خصص له الجزء الثاني من كتاب « كفاية الأصول» كما خصص له الشيخ﵀ كتاب «الفرائد».

أما لو كان الشيخ وتلميذه صاحب الكفاية (رحمهما الله) يريدان وضع منهجية شاملة لعلم الأصول... فإن هذا التقسيم وتقسيم الشيخ﵀ لا يخلوان عن نقاط للمناقشة.

ويكون للبحث عن القطع وأحكامه موضع آخر، ويكون منهج المحقق الأصفهاني و المحقق الخوئي والمحقق الشهيد الصدر (رحمهم الله) أكثر استيعابا لأبحاث علم

---

(١) راجع نهاية الأفكار للشيخ محمد تقي البروجردي، تقرير بحث المحقق العراقي ٣: ٥، ونهاية الدراية للمحقق الأصفهاني ٢: ٣ الطبعة الحجرية.

الأصول وقدرة على تنظيم مباحث هذا العلم، وإن كان أساس المدرسة الحديثة لعلم الأصول هو تقسيم الشيخ ومنهجه، على كل حال.

منهج المحقق الأصفهاني

وميزة هذه المنهجية أنها شاملة لعامة مباحث هذا العلم، بينما المنهجيات السابقة تنظم فقط المباحث العقلية - لهذا العلم.

فإذا استعرضنا مثلا كفاية الأصول للمحقق الخراساني، نجد أن المجلد الثاني منه يتميز بمنهجية علمية منظمة، بينما المجلد الأول منه لا تنتظمه منهجية علمية دقيقة كالتي تنظم مباحث المجلد الثاني، وتتميز منهجية المحقق الأصفهاني بأنها شاملة ومستوعبة لكل مباحث هذا العلم وتنظم مباحث هذا العلم كما يقول الشيخ المظفر في أربعة فصول وخاتمة.

الفصل الأول مباحث الألفاظ: وهي تبحث عن مداليل الألفاظ وظواهرها من جهة عامة نظير البحث عن ظهور صيغة (افعل) في الوجوب وظهور النهي في الحرمة ونحو ذلك.

الفصل الثاني المباحث العقلية: وهي ما تبحث عن لوازم الأحكام في أنفسها ولو لم تكن تلك الأحكام مدلولة اللفظ، كالبحث عن الملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع، وكالبحث عن استلزام وجوب الشيء لوجوب مقدمته المعروف هذا البحث باسم مقدمة الواجب، وكالبحث عن استلزام وجوب الشيء لحرمة ضده المعروف باسم مسألة الضد، وكالبحث عن جواز اجتماع الأمر والنهي. وغير ذلك.

الفصل الثالث مباحث الحجة: وهي ما يبحث فيها عن الحجية والدليلية كالبحث عن حجية خبر الواحد وحجية الظواهر وحجية ظواهر الكتاب وحجية السنة والإجماع

والعقل وما إلى ذلك.

والفصل الرابع مباحث الأصول العملية: وهي تبحث عن مرجع المجتهد عند فقدان الدليل الاجتهادي، كالبحث عن أصل البراءة والاحتياط والاستصحاب ونحوها.

فمقاصد الكتاب - إذن - أربعة، وله خاتمة تبحث عن تعارض الأدلة وتسمى (مباحث التعادل والتراجيح) فالكتاب يقع في خمسة أجزاء إن شاء الله تعالى.

وقبل الشروع لابد من مقدمة يبحث فيها عن جملة من المباحث اللغوية التي لم يستوف البحث عنها في العلوم الأدبية أو لم يبحث عنها.

وعلى هذه المنهجية يجري الشيخ المظفر﵀ في كتابه «أصول الفقه».

المناهج الأخرى:

ومن المناهج المعاصرة الأخرى: منهج السيد الخوئي، ومنهج الشهيد الصدر (رحمهما الله)[١].

ولفقهائنا الأحياء حفظهم الله اقتراحات وتصورات جديدة وجيدة لتنظيم مباحث وأبواب علم الأصول لا يسعها المقام[٢].

---

(١) راجع المحاضرات للشيخ إسحاق الفياض تقريرا لبحث آية الله الخوئي﵀ ١: ٦-٨. وبحوث في علم الأصول للسيد محمود الهاشمي تقريرا لبحث آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر﵀ ١: ٥٧ - ٦٢.

(٢) راجع كتاب الرافد في علم الأصول للسيد منير القطيفي ١: ٤٣ - ٥٦، والأصول العامة للفقه المقارن لآية الله السيد محمد تقي الحكيم: ٨٥ - ٩٤.

الفصل الثاني

المناهج الدراسية

المبحث الاول: المناهج الدراسية الاصولية وعلل اختيارها.

*المرحلة الاولى: السطح.

الاولى: الناحية الزمانية.

الثانية: الناحية الكيفية.

*المرحلة الثانية: مرحلة الخارج

المبحث الثاني: مواصفات المنهج الدراسي الناجح.

تعريف المنهج والمراد به في اللغة والاصطلاح:

أهمية المنهج ودواعي العناية به:

ما هو المنهج الناجح؟

المناهج الدراسية الاصولية وعلل اختيارها

علم الاصول كغيره من العلوم الدينية وغير الدينية، تقوم دراسته على ركيزة التدرج، والارتقاءالمتتالي ذي المراحل المشخصة المدروسة.

ولهذا، فان دراسة هذا العلم في الحوزات الشريفة، قامت، وتقوم اليوم ايضا على تناوله في مرحلتين رئيستين هما:

المرحلة الاولى: السطح

وتقوم هذه المرحلة لتهيئة الطالب، والاخذ بيده في سلم الارتقاء العلمي في هذا الاختصاص، وكانت هذه المرحلة تاخذ بنظر الاعتبار التدرج التالي من حيث المواد الدراسية:

المرحلة الاولى: ويدرس فيها الطالب المعالم، للشيخ جمال الدين الحسن نجل الشهيد الثاني زين الدين العاملي.

المرحلة الثاني: ويدرس فيها الطالب القوانين، للشيخ ابي القاسم القمي.

المرحلة الثالثة: ويدرس فيها الطالب الرسائل للشيخ مرتضى الانصاري.

المرحلة الرابعة: ويدرس فيها الطالب الكفاية للشيخ محمد كاظم الخراساني.

والظاهر ان هذا الترتيب والاختيار لم يكن عفويا، بل كان نتيجة دراسة وتخطيط من قبل القائمين على امر التعليم والمنهج، اذ يلاحظ انه اخذ بعين الاعتبار الركيزة الاكثر اهمية في المنهج الدراسي، وهي: التدرج، والتسلسل في الارتقاء العلمي، فان الكتب الاربعة السابقة لو لاحظناها، لوجدنا انها متدرجة متسلسلة من ناحيتين مهمتين جدا:

الاولى: الناحية الزمانية

إن كتاب المعالم يسبق كتاب القوانين وكتاب الرسائل وكتاب الكفاية، و القوانين يسبق الرسائل، وهي تسبق الكفاية ايضا، الامر الذي يعني ان الطالب سيمر على اهم النظريات المطروحة في هذا العلم، وعلى امتداد زمان طويل نسبيا.

الثانية: الناحية الكيفية

فان الافكار المطروحة في هذه الكتب تختلف من حيث التحقيق، والتدقيق، والتطور حسب السلم الزمني السابق، لتصل الى اعلى هذا السلم على يد الاخوند الخراساني(رحمه الله) في كتاب كفاية الاصول.

وبهذا، نرى ان اختيار هذا الكتاب كان اختيارا موفقا جدا، بعد ان كان يراعي الركيزة المهمة في المناهج الدراسية، وهي: التدرج، نعم كانت هناك هوة بين بعض هذه الكتب كالمعالم، وبين البعض الاخر كالرسائل، فألف كتاب اصول الفقه للشيخ المظفر رحمه الله ليسدها.

المرحلة الثانية: مرحلة الخارج

حيث يتلقى فيها الطالب آخر النظريات التي ابدعت، او اكتشفت في علم الاصول واحدثها، ليكون متمكنا فيها.

هذا، وقد ادخلت بعض التعديلات على هذه المناهج في السنين الاخيرة، فاستبدل كتاب القوانين الكبير بكتاب مختصر الفصول، كما عوض الرسائل بمختصر اسميه الرسائل الجديدة، والاضافة الى دخول اصول الفقه للمظفر(رحمه الله) الى ساحة المناهج كما قلنا انفا[1].

---

(١) العيداني، محمود، البرنامج التدريسي للحلقة الثانية ١: ٣٦، مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للدراسات والتحقيق.

مواصفات المنهج الدراسي الناجح

تعريف المنهج والمراد به في اللغة والاصطلاح:

تعريف المنهج في اللغة: بالنظر في قواميس اللغة لكلمة (منهج) نجد أنها تدل على الطريق الواضح المستقيم.

قال ابن فارس: «النون والهاء والجيم أصلان متباينان، الأول: النهج: الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه وهو مستقيم المنهاج...»[١].

وقال في الصحاح: «النهج: الطريق الواضح، وكذا المنهج والمنهاج، وأنهج الطريق أي استبان، وصار نهجا واضحا بينا، ونهجت الطريق إذا أبنته وأوضحته»[٢].

تعريف المنهج في الاصطلاح: نستطيع أن نستشف تعريفا للمنهج من خلال ما سبق من تعريفه في اللغة فنقول: إن المنهج هو مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل منهم.

ومن خلال الاستقراء في المناهج عامة نجد أنها قسمان: صحيحة وفاسدة، والذي يهمنا هنا الأول وهو المنهج الذي يتخذ من الكتاب والسنة أصولا يعتمد عليها، وهذا هو محور الحديث عن المنهج الذي نريده.

---

(١) ابن فارس، ابو الحسين احمد، معجم مقاييس اللغة(مادة منهج)، مكتبة الاعلام الاسلامي.

(٢) الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح(مادة منهج) دار العلم للملايين.

أهمية المنهج ودواعي العناية به:

إن قضية المنهج قضية مهمة جدا، لا سيما في النواحي العلمية، ولقد ذخر التاريخ الإسلامي بكوكبة من العلماء كان أعظمهم قدرا وأكبرهم أثرا أوضحهم منهجا، كما واجهت الساحة العلمية عبر التاريخ مشكلات عديدة كان من أخطرها غياب المنهج الصحيح أو عدم وضوحه للمتلقين.

ونستطيع أن نخلص أهمية المنهج ودواعي العناية به من خلال النقاط الآتية:

١ - السير العلمي بخطوات سليمة متسمة بالوضوح والبيان.

٢ - اختصار الطريق للوصول إلى الغاية المنشودة والهدف المرسوم.

٣ - إنه ضمان بإذن الله من التعثر والعقبات التي تحول دون الوصول إلى المقصود.

٤ - تحقيق النفع المنشود والأثر المعقود.

٥ - التزود بأهم رصيد في حياة العلماء، وما هو أهم من مجرد المعلومات، ألا وهو قضية المنهج القويم، لنسير على مسارهم الصحيح[1].

ما هو المنهج الناجح؟

واما نجاح منهج ما، فهو تابع لمعيارين مهمين:

الاول: البنية الجوهرية للمنهج، وهي: المعلومات التي يطرحها ويعتني بها، وان شئت فسمه: (المضمون).

الثاني: البنية التنظيمية للمنهج، وهي طرق البحث، واشكاله التي توثر في حصول الغاية المترقبة من ذلك المنهج، وان شئت، فسم هذا المعيار بـ(الشكل).

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية العدد الثامن والخمسون.

وهذا المعيار الثاني، انما هو فرع من فروع علم مهم متعلق بالمناهج ايضا، ويجب اخذه بنظر الاعتبار في بناء ونجاح أي منهج، وهو العلم المسمى(علم هندسة المناهج)، والذي يضم -بالاضافة الى الفرع -فرعين آخرين، هما:

١-فرع وضع المناهج وتأليفها.

٢-فرع تطبيق المنهج، والاستفادة العملية منه.

وهناك نقاط مهمة له جدا يجب ان تراعى في وضع أي منهج مهما كان الاختصاص الذي يراد وضع منهج له، والكلام الان في فرع (وضع المناهج)، ولربما كان اهم هذه النقاط، هوتحديدالهدف من ذلك المنهج، اذ يستحيل ان يكون المنهج ناجحا بلا تحديد للهدف المراد منه، فان قيمة الهدف تكمن في انه يعطي قيمة للعمل، ويعين اتجاهه، ويحدد وسائله، والطرق الموصلة له، ذلك ان الذي لا يعرف الهدف، لا يعرف المبدأ ولا الغاية، ولايستطيع الجزم بافضلية طريقة ووسيلة على اخرى.

هذا وقد ذكر للهدف وظائف متعددة، اهمها:

ا) تسهيل وتنظيم اختيار المادة الدراسية (المضمون).

ب) تسهيل وتنظيم اختيارالطريقة المناسبة للتدريس.

ج) تسهيل وتنظيم اختيار اساليب التقويم المناسبة للمنهج.

د) تمكين المدرس من تجزئة، وتحليل، وايصال المادة العلمية للطالب.

بملاحظة ما ذكرناه انفا، يتضح ان قيمة كل منهج، بقيمة هدفه ووضوحه من جانب، وبقيمة وفائدة الطريقة التي جهزها، والرسائل التي اعدها للوصول الى ذلك الهدف من جانب آخر.

بعد ان تبين هذا ، يجب ان نرجع الى ما سبق من كتب اخذت كمنهج دراسي في حوزتنا، لنلاحظ مقدار ما تحمله من الموازين والمعايير السابقة، ومقدار ما تحققه من تلك الاهداف والموازين، فما قمية هذه المناهج تبعا لهذه المعايير؟

ولو راجعنا وتاملنا المناهج الدراسية التي ذكرناها انفا: المعالم، والقوانين، لوجدناها-وبوضوح-ناقصة، قاصرة من هذه الجهة:

اما من ناحية الهدف، فان المفروض ان الهدف المرجو من المنهج الدراسي، هو الاعداد والتمهيد للطالب الى حضور مرحلة السطوح، وفهم ما يطرح فيها، بحيث يكون من اهل التحقيق هناك، وهذا ما عجزت عنه الكتب المذكورة، وذلك لجملة من الاسباب، نكتفي هنا بذكر اهمها:

١-ان الهدف من كل واحد من تلك الكتب، لم يكن اعداد الطالب وتهيئته لحضور مرحلة السطوح، لوضوح انها لا تخاطب الطالب ابدا، بل خاطبت عالما على مستوى عال من الفهم والادراك، فلم تاخذ بنظر الاعتبار ابدا مدارك وقابليات الطالب، وهذه النقطة مهمة جدا في عدم انتاج هذه الكتب وما ماثلها.

٢-انها لم تراع التدرج في العملية التعليمية، وان كانت متدرجة زمانا ومن حيث الافكار، الامر الذي ذكرناه سابقا، فان التدرج المطلوب في الكتب والمناهج الدراسية، لا يقتصر على ما ذكرنا، بل المهم ايضا التدرج في نفس المنهج الواحد، وفي كل كتاب على حدة، الامر الذي لم تراعه هذه الكتب ابدا كما يلاحظ بادنى تأمل.

٣-انها لم تكن موفقة في ادراة البحث التي طرحتها، فانها تستخدم لغة خاصة، معقدة جدا، اللغة التي هي الجسر والمعبر للافكار، فلاحظ ما نبذله لكي نفهم عبارة من

عبائر القوانين، او الكفاية مثلا[١].

هذه وغيرها من الاسباب الكثيرة، ادت الى قلة بل ندرة انتاج هذا الكتب على جلالة قدرها، وقدر مؤلفيها، جزاهم الله عنا وعن الاسلام الف خير.

هذا كله بالنسبة الى تلك المناهج، واما بالنسبة الى (اصول الفقه) واهدافه ومقدار ما حققه منها، ونجاحها وعدمه، فهذا ما سنتناوله في الفصل التالي ان شاء الله تعالى.

(١) البرنامج التدريسي١: ٤١.

الفصل الثالث

على اعتاب اصول الفقه

منهج الشيخ المظفر في اصول الفقه:

*الهدف.

*اللغة.

*التبويب.

المنهج الخاص للشيخ المظفر في اصول الفقه:

*بيان النظريات القديمة.

* تأصيل المسائل الأصولية.

* تطبيق القاعدة الأصولية.

* تعدد الاصطلاح.

منهج الشيخ المظفر في اصول الفقه

وبملاحظة ماذكرناه في الباب السابق، وما قلناه هناك عن المناهج العلمية المدروسة، واهدافها، واهميتها، وطريقة وضعها، يتضح عظم الجهد الذي بذله الشيخ المظفر رحمه الله في كتاب اصول الفقه، فقد اخذ فيها تقريبا كل ما له دخل في جعل المنهج ناجحا.

اما بالنسبه للهدف، فعند مطالعة كتاب اصول الفقه نجد هناك اهدافا رئيسة دعت الشيخ الى تأليف هذا الكتاب:

الهدف الاول: فقد كان واضحا جدا عند الشيخ المظفر ان هناك حلقة مفقودة بين كتاب معالم الاصول وبين كتاب كفاية الاصول، فقد وضع الشيخ المظفر كتاب اصول الفقه ليتمم تلك الحلقة المفقودة.

الهدف الثاني: ايجاد كتاب درسي لان الكتب الاصولية السابقة لم تؤلف من قبل اصحابها بهدف تدريسها، بل انما ألفت لكي تعبر عن آراء المؤلف وافكاره في المسائل الاصولية المختلفة، وفرق كبير بين كتاب يضعه مؤلفه لكي يكون كتابا دراسيا وكتاب يؤلفه ليعبر فيه عن اعمق وارسخ ما وصل اليه من افكار وتحقيقات.

واما اللغة، فقد كان الشيخ المظفر مدركا تماما لاهميتها ودخالتها في تحقيق الهدف والمراد من الكتاب الدراسي هو يُسر اللغة وبساطة التعبير وسهولة وصول الفكرة إلى الطرف الآخر، ومن مشكلات الكتاب الفقهي التعليمي أنّه ما زال يعتمد إلى اليوم على المتن، بمعنى أنّ نصف الوقت يصرف على شرح الفكرة وبيان المعنى فيما نصفه الآخر

على شرح العبارة وبيان اللفظ، وهذا الأمر ـ مضافاً إلى ما يسبّبه من ضياع الوقت ـ يؤدّي إلى الدوران حول الكتب المخصّصة للتعليم بطريقة يصبح من الصعب معها الخروج من إطارها المنهجي الذي وضعتنا فيه.

إنّ أبرز ميزات كتاب الشيخ المظفر هنا هو سهولة البيان وبساطة التعبير، وعدم الحاجة في تقديري لتطبيق الشرح على المتن، بل يكتفي الطلاب بمراجعة ما في الكتاب بعد أن صاروا واعين للمفاهيم الموجودة من خلال شرح الأساتذة، فحتى أكثر الكتب تجديداً في العلوم الدينية ما زالت تعاني من هذه المشكلة، ككتاب المعالم، لكنّنا نجد مع الشيخ المظفر أنّنا تجاوزنا هذا الموضوع بالكليّة، ولم نعد نواجه أبسط المشاكل فيه، فكتب الشيخ المظفر التعليميّة هي الكتب الوحيدة تقريباً التي يمكنها أن تؤسّس لمرحلة تجاوز المتن، بمعنى أنّ الأستاذ والطالب لم يعودا بحاجة أبداً لقراءة متن الكتاب الدراسي بعد إعطاء الدرس، لتفكيك عباراته وإرجاع ضمائره، وهو ما يوفّر الكثير من الوقت والجهد والعناء على الطلاب والأساتذة معاً.

إنّ محاولة الشيخ المظفر الاقتراب الكبير من المنهاج الحديث في التدوين الدراسي، والابتعاد عن المنهاج القديم، جعلته يبدو من أكثر الشخصيات التي تخلّصت نهائيّاً من أزمة اللغة المعقّدة والبيان الملتوي، وأكثرهم وفاءً لما آمن به من ضرورة التخلّي عن فكرة المتن والشرح، ولهذا لا نجد في كتابه متناً في الأعلى يتلوه شرحٌ في الأسفل، ولا نرى متناً في البداية يتلوه شرح بعده، خلافاً لما فعله بعض أساتذتنا الأجلاء المعاصرين المجدّدين في مجال الكتاب الدراسي أيضاً، حيث ظلّ أسيراً لفكرة المتن، الذي يتلوه شرح له وتعليق عليه.

ومن نماذج ذلك عنده هو الاهتمام بالرصد اللغوي، كون شيخنا المظفر فقيه لغة ومتخصّصاً من الطراز الأوّل في جانب اللغة بفروعها المختلفة، وله نظريّاته الخاصّة في

هذا المضمار.

واماالتبويب للبحوث، فقد اعتمد المنهج الذي قرره استاذه الاصولي العظيم (الشيخ اغا ضياء الدين العراقي) الذي لاحظ ان الترتيب المعتمد في تبويب ابحاث علم الاصول عشوائي ولايقوم على اساس صحيح؛ لانه لا يلحظ العلاقة المنطقية والتراتبية المنطقية (التسلسل المعرفي) بين القضايا والمسائل فبنى كتاب الاصول وفقا لمنهج يلحظ العلاقة التي تنبع من طبيعة مستويات وابعاد الحقل المعرفي.

تقسيم أبحاثه:

تنقسم مباحث هذا العلم إلى أربعة أقسام:

١ - مباحث الألفاظ: وهي تبحث عن مداليل الألفاظ وظواهرها من جهة عامة، نظير البحث عن ظهور صيغة «افعل» في الوجوب، وظهور النهي في الحرمة... ونحو ذلك.

٢ - المباحث العقلية: وهي ما تبحث عن لوازم الأحكام في أنفسها ولو لم تكن تلك الأحكام مدلولة للفظ، كالبحث عن الملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع، وكالبحث عن استلزام وجوب الشيء لوجوب مقدمته - المعروف هذا البحث باسم «مقدمة الواجب» - وكالبحث عن استلزام وجوب الشيء لحرمة ضده المعروف باسم «مسألة الضد» و كالبحث عن جواز اجتماع الأمر والنهي وغير ذلك.

٣ - مباحث الحجة: وهي ما يبحث فيها عن الحجية والدليلية، كالبحث عن حجية خبر الواحد وحجية الظواهر وحجية ظواهر الكتاب وحجية السنة والإجماع والعقل وما إلى ذلك.

٤ - مباحث الأصول العملية: وهي تبحث عن مرجع المجتهد عند فقدان الدليل

الاجتهادي، كالبحث عن أصل البراءة والاحتياط والاستصحاب ونحوها.

فمقاصد الكتاب - إذن - أربعة.

وله خاتمة تبحث عن تعارض الأدلة وتسمى «مباحث التعادل والتراجيح» فالكتاب يقع في خمسة أجزاء إن شاء الله تعالى [١].

وهذا التقسيم حديث تنبه له الشيخ محمد حسين الاصفهاني رحمه الله المتوفى سنة ١٣٦١ (هـ ق)، افاده في دورة بحثه الاخيرة.

وهو التقسيم الصحيح، الذي يجمع مسائل علم الاصول ويدخل كل مسألة في بابها، فمثلا مبحث المشتق كان يعد من المقدمات وينبغي ان يعد من مباحث الالفاظ، ومقدمة الواجب و مسألة الاجزاء ونحوهما كانت تعد من مباحث الالفاظ وهي من بحث الملازمات العقلية...وهكذا[٢].

المنهج الخاص للشيخ المظفر في اصول الفقه:

فقد ركز الشيخ المظفر ابحاث الكتاب على الموضوعات الاصولية ذات الصلة بعملية الاستنباط التي تكون عند الطالب الاساس اللازم لابحاث الدراسات الاصولية المعمقة المؤهلة للاجتهاد، واهمل الشيخ المظفر بعض الابحاث الدخيلة على الاصول والتي لا تساهم في تكوين الخبرة اللازمة لطالب الاجتهاد، واختصر بعضها الاخر على نحو يزود الطالب بفكرة عنها دون ان يستغرق في تفصيلاتها.

بيان النظريات القديمة

كما انه عنى بذكر الاراء الاصولية التي كانت تذكر في الكتب القديمة حيث يقول:

---

(١) المظفر، محمدرضا، اصول الفقه: ٢٢، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب.

(٢) المظفر، محمدرضا، حاشية اصول الفقه: ٢٢٤، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب.

لاشك أن دلالة الألفاظ على معانيها في أية لغة كانت ليست ذاتية، كذاتية دلالة الدخان - مثلا - على وجود النار- وإن توهم ذلك بعضهم [١]- لأن لازم هذا الزعم أن يشترك جميع البشر في هذه الدلالة، مع أن الفارسي -مثلا - لا يفهم الألفاظ العربية ولا غيرها من دون تعلم، وكذلك العكس في جميع اللغات، وهذا واضح ، وعليه فليست دلالة الألفاظ على معانيها إلا بالجعل والتخصيص من واضع تلك الألفاظ لمعانيها. ولذا تدخل الدلالة اللفظية هذه في الدلالةالوضعية[٢].

فقدذكر الشيخ في هذه المسألة رأيين:

الرأي الاول لسقراط، والرأي الثاني للمحقق الخراساني.

رأي سقراط:

وهو أقدم رأي في المسألة مما وصل إلينا، نقله عنه تلميذه أفلاطون في محاوراته[٣]، ومحصلته: أن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة ذاتية، وصلة طبيعية، لا تختلف عن الصلات الطبيعية الاخرى، القائمة بين الأسباب ومسبباتها، والعلل ومعلولاتها، كالصلة بين النار والاحتراق والخصب والنماء. فاللفظ سبب وعلة وجود المعنى في الذهن، ووجود المعنى في الذهن معلول ومسبب لوجود اللفظ في الذهن، الذي تنتقل صورته إليه عن طريق الحس سماعا أو قراءة أو نطقا[٤].

---

(١) ومنهم سليمان بن عباد الصيمري على مافي بعض الكتب كالفصول: ٢٣ ومفاتيح الاصول:٢. وذهب المحقق النائيني ايضا الى انها ذاتية ولكن لا بحيث يلزم من تصوره تصورالمعنى.راجع اجود التقريرات ١: ١٩، فوائدالاصول١: ٣١.

(٢) المظفر، محمدرضا، اصول الفقه: ٢٦، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب.

(٣) ابراهيم انيس في (دلالة الالفاظ ط١٩٨ص٦٣).

(٤) الفضلي، دروس في اصول فقه الامامية٢: ٢٨، مركزالغدير للدراسات والنشر والتوزيع.

رأي المحقق الخراساني:

قال في كتابه: الوضع هو نحو اختصاص اللفظ بالمعنى وارتباط خاص بينهما ناشئ من تخصيصه به تارة ومن كثرة استعماله فيه اخرى[١].

وبهذا استطاع الشيخ المظفر ان يبين للطالب المبتدئ في هذا الفن الرأي المتقدم في المسالة، والرأي المتاخر.

تأصيل المسائل الاصولية

وقد عنى ايضا بذكر اسس بعض المسائل الاصولية التي كانت تذكر في الكتب القديمة من دون بيان الخلفية العلمية التي تستند اليها، كما نلاحظ في بحثه عن (التحسين والتقبيح) كما في هذه البحوث التي ذكرها:

المبحث الاول: التحسين والتقبيح العقليان[٢].

١- معنى الحسن والقبح وتصوير النزاع فيهما[٣].

٢- واقعية الحسن والقبح في معانيهما ورأي الاشاعرة[٤].

٣-العقل العملي والنظري[٥].

٤-اسباب حكم العقل العملي بالحسن والقبح[٦].

---

(١) الخراساني، كفاية الاصول١: ٢٤، تحقيق مجمع الفكر الاسلامي.

(٢) المظفر، محمدرضا، اصول الفقه: ٢٢٤، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب.

(٣) نفس المصدر١: ٢٢٦.

(٤) نفس المصدر١: ٢٣.

(٥) نفس المصدر١: ٢٣١، إن المراد من العقل - إذ يقولون: إن العقل يحكم بحسن الشيء أو قبحه بالمعنى الثالث من الحسن والقبح - هو «العقل العملي» في مقابل «العقل النظري».

(٦) نفس المصدر١: ٢٣٢.

٥-معنى الحسن والقبح الذاتيين[١].

المبحث الثاني: ادراك العقل للحسن والقبح[٢].

المبحث الثالث: ثبوت الملازمة العقلية بين حكم العقل وحكم الشرع[٣].

تطبيق القاعدة الاصولية

يقول(رحمه الله) تطبيقا للقاعدة الاصولية:

مثاله: إن الصلاة واجبة في الشريعة الإسلامية المقدسة، وقد دل على وجوبها من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**أَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾ [٤]. ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا**﴾[٥]. ولكن دلالة الآية الأولى متوقفة على ظهور صيغة الأمر - نحو (أقيموا) هنا - في الوجوب، ومتوقفة أيضا على أن ظهور القرآن حجة يصح الاستدلال به. وهاتان المسألتان يتكفل ببيانهما علم الأصول.

فإذا علم الفقيه من هذا العلم أن صيغة الأمر ظاهرة في الوجوب وأن ظهور القرآن حجة، استطاع أن يستنبط من هذه الآية الكريمة المذكورة أن الصلاة واجبة ، وهكذا في كل حكم شرعي مستفاد من أي دليل شرعي أو عقلي لابد أن يتوقف استنباطه من

---

(١) نفس المصدر١: ٢٢٧.

(٢) نفس المصدر١: ٢٤٢.

(٣) نفس المصدر١: ٢٤٤، ومعنى الملازمة العقلية هنا - على ما تقدم - أنه إذا حكم العقل بحسن شيء أو قبحه هل يلزم عقلا أن يحكم الشرع على طبقه ؟

(٤) البقرة: ٢.الايات: ٤٣، ٨٣، ١١٠، النساء الاية: ٧٧، يونس الاية: ٨٧، النورالاية: ٥٦، الروم الاية٣١ المزمل: ٧٣.

(٥) النساء الاية: ١٠٣، وقوله (تعالى): ﴿**مَوْقُوتًا**﴾ أي مفروضا، او ثابتا، كما في الروايات. الوسائل الباب ١ من ابواب اعداد الفرائض، الاحاديث: ٣و٥و٦.

الدليل على مسألة أو أكثر من مسائل هذا العلم[١].

والمثال الذي ذكره المصنف اعتمد فيه على مرحلتين من القياس:

الاولى: تتكون من صغرى مفادها كل صيغة امر هي ظاهرة في الوجوب وكبرى: هي أن كل ظهور حجة ينتج ظهور الامر في الوجوب حجة.

الصغرى: أقيموا الصلاة.

الكبرى: ظهور صيغة الامر في الواجب حجة.

النتيجة: ظهور (أقيموا) في وجوب إقامة الصلاة حجة وهاتان القاعدتان يتكفل ببيانهما (علم الاصول).

تعدد الاصطلاح

من جملة مميزات منهج الشيخ المظفر في هذا الكتاب هو تعدد الاصطلاحات، وهو يساعد الى حد كبير في ضبط المعنى، وهذا مانجده واضحاً في ضبط معنى (الحجة) بقوله:

معنى الحجة

١ - الحجة لغة: «كل شيء يصلح أن يحتج به على الغير»[٢].

وذلك بأن يكون به الظفر على الغير عند الخصومة معه. والظفر على الغير على نحوين:

إما بإسكاته وقطع عذره وإبطاله.

---

(١) اصول الفقه: ١٩.

(٢) كما قال في مجمع البحرين ١٥٥: الحجة -بضم الحاء-: الاسم من الاحتجاج.

وإما بأن يلجئه على عذر صاحب الحجة فتكون الحجة معذرة له لدى الغير.

٢ - وأما الحجة في الاصطلاح العلمي فلها معنيان أو اصطلاحان:

أ - ما عند المناطقة، ومعناها: «كل ما يتألف من قضايا تنتج مطلوبا» أي مجموع القضايا المترابطة التي يتوصل بتأليفها وترابطها إلى العلم بالمجهول، سواء كان في مقام الخصومة مع أحد أم لم يكن. وقد يطلقون الحجة أيضا على نفس (الحد الأوسط) في القياس[١].

ب - ما عند الأصوليين، ومعناها عندهم حسب تتبع استعمالها: «كل شيء يثبت متعلقه ولا يبلغ درجة القطع» أي لا يكون سببا للقطع بمتعلقه، وإلا فمع القطع يكون القطع هو الحجة ولكن هو حجة بمعناها اللغوي. أو قل بتعبير آخر: «الحجة: كل شيء يكشف عن شيء آخر ويحكي عنه على وجه يكون مثبتا له»[٢].

الى غير ذلك من الموارد التي امتاز بها كتاب اصول الفقه من حيث المضمون على ما كتب قبله من مناهج اصولية، يمكن اكتشافها بالمطالعة والتأمل.

---

(١) راجع حاشية ملا عبد الله: ٣٧.وقال في فوائد الاصول ٣: ٧: (الحجة باصطلاح المنطقي عبارة عن الوسط الذي بينه وبين الاكبر -يراد اثباته للاصغر- علقة وربط ثبوتي).حاشية اصول الفقه: ٣٧٠.

(٢) اصول الفقه: ٣٧٠.

الخاتمة

من خلال ما استعرضناه في بحثنا هذا نشير الى اهم النتائج التي توصلنا اليها بشكل مختصر:

١- بعد تتمة هذا البحث قد اتضح لنا اهمية المنهج لكي يتوصل الباحث او الكاتب الى مراده او هدفه.

٢- وقد اتضح لنا من خلال هذا البحث المختصر ان كتاب اصول الفقه للشيخ المظفر قد انطبقت عليه قواعد المنهج الناجح.

٣- وان الشيخ المظفر هو اول من كتب كتابا راعى فيه قواعد المنهج الدراسي في الحوزة العلمية.

وقد حاولنا_جهد الامكان _ايضاح الفكرة وجلاءها، فان قدر لنا النجاح فيما حاولناه، فهو غاية ما نتمناه والا فحسبنا من عملنا هذا ان ينال رضا الله تعالى، وان يرسم بعض الخطوط ويشق الدرب للاخرين...والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وله الحمد اولا واخرا انه ولي التوفيق.

فهرس المصادر

*القرآن الكريم.

١- المظفّر، الشيخ محمّد رضا، أُصول الفقه، الناشر: موسسة بوستان كتاب.

٢- الصدر، السيد حسن، تأسيس الشيعة، شركة النشر والطبع العراقية المحدودة.

٣- السيوطي، جلال الدين، الوسائل في مسامرة الأوائل، دار الكتب.

٤- خليفة، حاجي ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

٥- ابن خلكان، محمد باقر بن عبد الحسين خان، تاريخ ابن خلكان، نشر موسسة الاعلمي.

٦- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي، الفهرست، دار المعرفة بيروت - لبنان.

٧- الزلمي، الدكتور مصطفى إبراهيم، أصول الفقه: ٤، ط الخنساء.

٨- الصفار، الشيخ فاضل، أصول الفقه وقواعد الاستنباط، مركزالفقاهة للدراسات والبحوث الفقهية.

٩- الصَدر، محمد باقر، المعالم الجديدة للأصول، مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر.

١٠- الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي، دار الحديث للطباعة والنشر.

١١- الفضلي، عبد الهادي، اصول علم الرجال، مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر.

١٢- البروجردي، محمد تقي، نهاية الأفكار، تقرير بحث المحقق العراقي، منشورات مؤسسة النشر الاسلامي.

١٣- الأصفهاني، محمد حسين، نهاية الدراية، الطبعة الحجرية.

١٤- الفياض، إسحاق الفياض المحاضرات، تقريرا لبحث آية الله الخوئي﵀انتشارات انصاريان.

١٥- الهاشمي، محمود ، بحوث في علم الأصول، تقريرا لبحث آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر﵀ مؤسسة دائرة معارف الفقة الاسلامي.